إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ باللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .. أَمَّا بَعْدُ:

كلماتٌ، ولكنَّهنَّ ليسَ كباقي الكلماتِ، لأنَّهنَّ قاتلاتٌ، تُسرعُ كالرِّيحِ، وتشتعلُ كالنَّارِ، كم هدمتْ من صداقةٍ ودارٍ، وكم فَرَّقتْ من قريبٍ وجارٍ، بسببِها يُتَّهمُ البريءُ، ويُكذَّبُ الصَّادقُ، ويُخوَّنُ الأمينُ، ويخافُ المجتمعُ بعدَ الاستقرارِ، وترتفعُ بعد انخفاضِها الأسعارُ، وتُهزمُ بها الجيوشُ، وتَسقطُ منها الدُّولُ، وكم نَدِمَ الكثيرُ على تصديقِها ولكن بعدَ ما قُضيَ الأمرُ وفاتَ، إنَّها الإشاعاتُ وما أدراكَ ما الإشاعاتُ.

الإشاعاتُ كلماتٌ، والكلماتُ قد ترفعُ الإنسانَ إلى أعلى المقاماتِ، وقد تهوي به في أسافلِ الدَّركاتِ، عن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ).

بالإشاعاتِ طُعنَ بعِرضِ خيرِ البشرِ، في أحبِّ نسائه إليه عائشةَ رضيَ اللهُ عنها، شهراً كاملاً والنَّاسُ يخوضونَ في قولِ أهلِ الإفكِ، وصاحبةُ الشَّأنِ غافلةٌ لا تشعرُ بشيءٍ، لم يختلفْ عليها إلا معاملةُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ لها، فتقولُ: وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (كَيْفَ تِيكُمْ؟)، فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ.

بلْ أَوشكَ رسولُ اللهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على طلاقِ حبيبتِه، لما تأخرَ الوحيُ وأكثرَ المنافقونَ في الطَّعنِ في زوجتِه، كما جاءَ في القِصةِ: (وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ)، لا إلهَ إلا اللهُ، ما أكبرَها من إشاعةٍ، كادتْ أن تُفرِّقَ بينَ أهلِ الطَّاعةِ.

وكادتْ أن تكونَ خصومةٌ عظيمةٌ بينَ الأنصارِ، لولا أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ حالَ بينَهم وبينَ الشِّجارِ، بِسَببِ رَأسِ المنَافقينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: (يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي)، فما أعظمَ خطرَ الشائعاتِ، في تفريقِ وحدةِ المجتمعاتِ.

لقد أصبحتْ الإشاعةُ أقوى وأقوى، فازدادتْ بطولِ الوقتِ البلوى، تقولُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، فَجَاءَهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا، فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ).

تقولُ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ –وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ– لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ

لَكُمْ بِأَمْرٍ –وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ– لَتُصَدِّقُونَنِي، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ –وَاللَّهِ– مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

وهناكَ جاءَ الرَّدُّ على أعظمِ إشاعةٍ عَرفَتها البشريَّةُ، بكلماتٍ تكلَّمَ بها ربُّ البريَّةِ، فأوصلَها جبريلُ الرُّوحُ الأمينُ، إلى محمدٍ سيِّدِ المرسلينَ، تقولُ العفيفةُ المبرأةُ من فوقِ سبعِ سمواتٍ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –وَهُوَ يَضْحَكُ– فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: (أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ)، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) عَشْرَ آيَات.

فهل رأيتُم خطرَ الإشاعاتِ على أمَّةِ الإسلامِ؟، وهل رأيتمُ ما قد يفعلُه الكلامُ؟، وقد سجَّلَ لنا التَّاريخُ في السُّنَّةِ، قصةَ نبيٍّ يُبتلى، وسطَّرَ لنا القرآنُ في المصاحفِ، آياتٍ في البراءةِ تُتلى، وصدقَ حسانٌ رضيَ اللهُ عنه حيثُ قالَ:

فَإِنّ أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضي *** لعرضِ محمدٍ منكمْ وِقاءُ

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمينَ من كلِ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِه وأصحابِه أجمعينَ، أما بعدُ:

فالكلماتُ لها أثرٌ غريبٌ جبَّارٌ، بُها تُبنى المجتمعاتُ وتَنهارُ، وبها تتغيَّرُ المفاهيمُ والأفكارُ، كما قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً)، فيا للهِ كم من كلمةٍ طُعنَ فيها الإسلامُ، وكُذِّبَ بها نبيٌّ، وشُوِّهَ بها حَسَنٌ، واتُّهِمَ فيها بريءٌ، وقُطعتْ بها أرحامٌ، وهُزِمَ بها جيشٌ، وأُخيفَ بها آمنونَ، وكُدِّرَ بها عَيشٌ، وأُزيلتْ بها نِعَمٌ، وأُسقطتْ بها دولٌ، وأريقتْ بها دماءٌ، ودمُّ عثمانَ بنِ عفانٍ رضيَ اللهُ عنه الخليفةِ الرَّاشدِ ذي النُّورينِ على ذلك شهيدٌ.

واسمعوا إلى هذه الحادثةِ الغريبةِ، ذكرَ ابنُ كثيرٍ رحمَه اللهُ في حوادثِ سنةٍ ثلاثمائةٍ وأربعٍ، أنه اشتهرَ ببغدادٍ أن حيواناً يُقالُ له (الزَّرنبُ)، يطوفُ بالليلِ يأكلُ الأطفالَ من الأَسِرَّةِ، ويعدو على النِّيامِ فربما قطعَ يدَ الرجلِ وثديَ المرأةِ وهم نائمونَ، فجعلَ النَّاسُ يضربونَ على أسطحتِهم على النُّحاسِ من الهواوينِ وغيرِها ينفرونَه عنهم، حتى كانتْ بغدادُ بالليلِ تَرتَجُّ من شرقِها إلى غربِها، واصطنعَ النَّاسُ لأولادِهم مَكبَّاتٍ من السَّعفِ وغيرِها –يُخفونَهم فيها–، واغتنمتْ اللصوصُ هذه الشَّوشةَ فكَثرتْ النُّقوبُ وأُخذتْ الأموالُ، فأمرَ الخليفةُ بأن يُؤخذَ حيوانٌ من كلابِ الماءِ فيصلبُ على الجسرِ ليَسكنَ النَّاسُ عن ذلك، فسَكنَ النَّاسُ، واستراحُوا من ذلك، فعجباً للإشاعاتِ، كيف جعلتْ الخيالَ حقيقةً، حتى صدَّقَها النَّاسُ، بل واخترعوا قِصصاً كثيرةً لحيوانٍ معدومٍ.

وإذا كنَّا قد أُمرنا بالتَّثبتِ في نقلِ خبرِ الفُسَّاقِ، قالَ سبحانَه: (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، فكيفَ بأخبارِ الكُفَّارِ الأعداءِ أو أخبارٍ مجهولةِ المصدرِ؟، فانتبهوا من الكلماتِ التي تُدارُ في المجالسِ وتُرسلُ في وسائلِ التَّواصلِ، وحافظوا على أمنِكم وبلادِكم من كلِّ سوءٍ.

اللهمَّ إنا نسألُك أن تَعفَّ ألسنتَنا من الكَذبِ، وأعمالَنا من الرِّياءِ، وقلوبَنا من النِّفاقِ، اللهمَّ اجعلنا سِلْماً لأوليائكَ، حَرباً على أعدائك، أحينا مسلمينَ، وتوَّفنا مؤمنينَ، وألحقنا بالصَّالحينَ، اللهمَّ جنبنا الإثمَ والفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ، اللهم ارحمنا، واغفرْ لنا ذنوبَنا، وكفِّر عنا سيئاتِنا، وتوفنا مع الأبرارِ، وانصر الإسلامَ والمسلمينَ إنكَ سميعٌ عظيمٌ كريمٌ جليلٌ رحيمٌ، اللهمَّ آمنَّا في الأوطانِ والدُّورِ، وأصلحْ الأئمةَ وولاةَ الأمورِ، واغفر لنا يا عزيزُ يا غفورُ، اللهمَّ إنَّا نَسألُكَ فِعلَ الخَيراتِ، وتَركَ المنكَراتِ، وَحُبَّ المساكينِ، وأَن تَغفرْ لَنا وتَرحمنا، وإذا أَردتَ بِقَومٍ فِتنةً فَاقبضنَا إليكَ غَيرَ مَفتونينَ، اللهمَّ اكفنا أَعداءَكَ وأَعداءَنا بما شِئتَ يَا ربَّ العالمينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.